الأغلبية الصامتة: تصنيع كويت جديدة

إبراهيم المليفي
mulaifi70@gmail.com

وصفة الكويت الجميلة هي قديمة ومتاحة للجميع مكتوبة على شفاه الباسمين السمر وهم يجوبون البحار يصارعون الأخطار، مختومة على جباه أهل البادية والفروسية، مزروعة في الأرض التي جمعت المساجد والحسينيات والكنائس والمعابد والأقوام التي وفدت من جميع الاتجاهات بحثاً عن الأمان والرزق والعيش الكريم.

لم نصل إلى القاع بعد حتى نقيس مسافة البغضاء التي تجمعنا، وكلما تعمقنا نزولاً في نفق الأزمات لمعرفة الجذور والأبعاد، تلمسنا المزيد من السعة والرحابة، فما زرعه السابقون من أصحاب القرار نحصد ثماره المُرَّة اليوم بالأطنان التي تكفي حجم الوطن ويزيد، وما سنلعنه في التو سنترحم عليه بعد ساعة.

في البحث عن الراحة الوهمية أو في الهروب من التشخيص الحقيقي لمأزق الاهتزاز المستمر لكيان الدولة، لا يوجد أسهل من تحميل طرف ما مسؤولية كل ما يحدث، أو تحديد زمن "الحمل" دون أزمان أخرى لحصر العلاج في تصفية خصم الحاضر بأي طريقة مهما كانت، ولعل أسوأ ما يظهر في مأزق الاهتزاز الحالي هو أن بعض الأطراف مستعد للتضحية بأي شيء أو تجاهل أي خطيئة ترتكب في سبيل التخلص من الطرف الآخر، وهذا الوضع لا يحصل اليوم فقط بل حدث في السابق وكل مرة كان الدور على طرف مختلف. قديماً كانوا القوميين والتقدميين وفي الثمانينيات الشيعة واليوم القبائل، والأيام تدور وستدور، كانت السلطة هي الرابح الدائم والقانون وقيم العدالة هما الخاسران الدائمان، وكيان الدولة يتصدع بشكل تدريجي، حتى وصل الصدع إلى السلطة نفسها، فيا ترى أي استقرار قادم يتوقعه الحالمون والصدوع تضرب أرجاء البناء؟

في خضم الاهتزاز المستمر الذي نعيشه، هناك عدد لا محدود يريد إعادة كتابة الماضي بما يناسب مرئياته الخاصة، وعدد لا محدود فرض مسلمات جديدة على الدستور والقانون، وعدد لا محدود يريد الاستيلاء على المستقبل لوحده ولا يريد ناقصو التاريخ أو الأصل أو الدين مزاحمته في "الزمكان"، ولأجل ترتيب الأزمان الثلاثة يتطاحن المتطاحنون في حروب الاستنزاف حتى النهاية وبكل الأدوات وفوق كل الاعتبارات، وكل طرف يعتقد أنه قاب قوسين أو أدنى من تحقيق الانتصار على الأطراف الأخرى.

لا أقول سوى تباً لجهلكم، تريدون تصنيع كويت جديدة على "هواكم" غير كويت دستور 62، وكل طرف وسلطة يعرف حدوده ويقف عندها، كويت لا أحد فيها فوق الدستور والقانون، كويت تخلو من حرية الكلمة وتزدحم بقساة القلوب ومقطبي الحواجب.

وصفة الكويت الجميلة ليست خلطة سرية أو ورقة مقدسة محرمة على العامة، هي قديمة ومتاحة للجميع مكتوبة على شفاه الباسمين السمر وهم يجوبون البحار ويصارعون الأخطار، مختومة على جباه أهل البادية والفروسية وهم يصارعون أقدارهم فوق الرمال المتحركة، مزروعة في الأرض التي جمعت المساجد والحسينيات والكنائس والمعابد والأقوام التي وفدت من جميع الاتجاهات بحثاً عن الأمان والرزق والعيش الكريم، وصفة الكويت الجميلة هي "التراحم والتسامح والعمل الجماعي وترك العباد لرب العباد".

لا تسألوني عن الحل فالطريق إلى القاع ما زال طويلاً والكثيرون مستمتعون بالرحلة، كل ما أستطيع قوله هو لا تبحثوا عن العلّة وهي تسكن نفوسكم؟

الفقرة الأخيرة:
الشماتة في العمل السياسي لا تؤسس لعمل سياسي وبرلماني رصين ومستقر.

أ. د. محمد جابر الأنصاري *

الدول الصغيرة في الخليج... كيف تعوّض صغرها؟!

ينبغي عدم الاستهانة بالدول الخليجية الصغيرة المطلة على الجانب العربي من الخليج، إذا توافرت لها قيادة حازمة تعمل بجد على تطويرها. أقول ذلك وفي ذهني دولة الإمارات العربية المتحدة التي تستمد من مؤسسها زايد بن سلطان آل نهيان روح العزم والتصميم والإرادة، ويتمسك مواطنوها بالاتحاد وبقيادته للإمارات، لأنهم لمسوا خيراته وإنجازاته.

والبذرة الطيبة تثمر في شجرة طيبة، وهو أن قادة الاتحاد كالشيخ خليفة بن زايد، رئيس الدولة، والشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة، وحاكم دبي، المدينة المزدهرة في الاتحاد، والذي لا يألو جهده في إغناء الدولة، وليس إمارته وحدها، بكل الأنشطة الحيوية لما لها من آثار نفسية إيجابية على سائر المواطنين. والشيخ محمد بن زايد ولي عهد إمارة أبوظبي وقائد جيشها.

وفي الآونة الأخيرة لوحظ أن التدريب الذي يشرف أيضاً عليه الشيخ محمد بن زايد قد أتى بثمراته، وهو كقائد للجيش مهيأ من مواقعه أن يوجه هذا التدريب تدريباً صادقاً، خصوصاً أن المنطقة الخليجية مقبلة على حرب لا ندري متى تشتعل؟

ودولة الإمارات العربية المتحدة كيان اتحادي، فهي تقدم "نموذجاً اتحادياً"، وقد حقق زايد حلم الأجيال بتوحيد إمارات الساحل، وكان شعب الاتحاد مصراً على تلك الخطوة التاريخية التي حققت أعمق رغباته، وهي إذ حققت تلك الرغبة، فإنما جسّدت في الواقع شكلاً من أشكال الوحدة العربية التي تلقى تيارها في تلك اللحظة التاريخية أقسى الضربات والهزائم. ولكن زايد بن سلطان احتفظ بإيمانه الوحدوي وتمسك به، وذلك على إيمانه هذا، مدافعاً عن عروبته دون تشنج، خائضاً بحار السياسة الدولية باعتدال وتوسط، مقدماً نموذجاً يحتذى في ذلك، وعندما قامت حرب أكتوبر المجيدة ونهض العرب من أجل حقوقهم كانت لزايد كلمة سجلها التاريخ: النفط العربي ليس بأغلى من الدم العربي.

وعندما رحل زايد إلى ربه، وبكاه شعب الاتحاد كما يبكي ابناً من أبنائه، وجاء أبناء زايد يحملون الأمانة، ووقف جميعهم وراء خليفة بن زايد ومحمد بن زايد، ومعهم أخوهم محمد بن راشد آل مكتوم. وكان راشد شريكاً لزايد في المسيرة الاتحادية، وعلى قاعدة الشراكة بينهما رست سفينة الاتحاد.

ولو كان زايد وراشد حيين لتقبلا نداء العصر وقالا نعم للفكرة الاتحادية التي طرحها الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية، الذي يسابق الزمن في إصلاح ما ورثه عن أبيه، الملك المؤسس المصلح.

إن تقسيم العرب إلى أكثر من عشرين كياناً أمر غير منطقي، وذلك ما يسعى المخلصون من أبناء الأمة إلى تجاوزه وتصحيحه بالعودة إلى وحدة العرب التي كانت قائمة بالفعل، وإلا ما استقوى الآخرون عليهم، وما استطاعوا هم القيام بنهضتهم العلمية وتحقيق الأمجاد التي حققوها. فالاتحاد قوة، والتفرق أقرب طريق إلى الهزائم.

لقد استجاب زايد بن سلطان لمتطلبات عصره، وها هو ذا الملك عبدالله بن عبدالعزيز ينادي إخوانه قادة دول الاتحاد للاستجابة لنداء الوحدة.

التنوع البيئي: يمتد ساحل الإمارات من دبي إلى خور فكان في تخوم سلطنة عُمان، ولا تتشابه المواقع الساحلية كلها، فأبوظبي تحتفظ بطابعها، وكذلك دبي، وفي عجمان يفرض التنوع البيئي نفسه، فبين عجمان ودبي يلمس المرء الفارق بين أجواء "القرية" والأرياف البحرية وأجواء المدينة الصاخبة، وفي إمارة عجمان هناك مصائد للأسماك بكميات تفوق سكانها مما يدل على وفرة المصادر الغذائية في الدولة وكثافة السكان مشكلة تكتب عنها الصحافة متحدثة عن خلل سكاني بين العمالة الوطنية، والعمالة الوافدة، وتبرز هذه المشكلة (الخلل السكاني) في بعض الإمارات أكثر منها في إمارات أخرى.

ولا حل لهذه المشكلة المستعصية والمزمنة إلا بالاتحاد مع الدول الأعضاء بمجلس التعاون الخليجي، وإذا حللنا مشكلة أي دولة من دوله فالاتحاد والقبول به هو "الحل".

وفي الإمارات شعب عربي الشعور لا تشوب شعوره العربي شائبة... وذلك ما يمثل الصحافة في التمسك بالاتحاد وفي قبول الفكرة المطروحة الآن من قبل المملكة العربية السعودية. وكذلك في مسألة تحرير الجزر الإماراتية من الاحتلال المفروض من جانب واحد، وتطرح الإمارات على إيران فكرة التفاوض المفتوح أو القبول بمبدأ التحكيم الدولي، ولكن طهران ترفض كل ذلك. ويطالب مجلس التعاون الخليجي الجارة المسلمة إيران بالاحتكام إلى نداء العقل، وذلك في كل اجتماع من اجتماعاته، ولا نرى في الأفق ما يوحي بانجلاء هذا الإشكال نظراً لتمسك إيران باحتلال الجزر الإماراتية.

الاستعداد الدفاعي: وأمام "التهديدات الإيرانية" والإعلانات عن إنتاج الأسلحة الفتاكة، لا خيار للإمارات إلا بالتسلح الجيد والاستعداد الدفاعي للتمكن، ومن حسن الحظ أن الشباب الإماراتي متناغم مع قائده محمد بن زايد ويستمع إلى نصائحه. وقد اتضح ذلك في خليجي (21) حيث حققت دولة الإمارات العربية المتحدة البطولة، وكان واضحاً مدى قوة الشباب الإماراتي في كرة القدم.

إن اختصار الزمن بحسن الاستعداد والتدريب الممتاز هو المفتاح السحري الذي لابد منه.

التنمية المستدامة: تهتم دولة الإمارات العربية المتحدة بالتنمية، لذلك فهي تركز جهدها في الميدان الاقتصادي. وتشهد الإمارات ازدهاراً اقتصادياً غير مسبوق. وعلى طول الساحل الإماراتي ترى تأسيساً للمشروعات الجديدة، فالزائر يمكن أن يرى بدايات "دانة غاز" والمشروع النووي الإماراتي السلمي، كما أن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية أسسه الشيخ محمد بن زايد، سابقاً بذلك تقريباً الجميع. ومثل هذه المراكز البحثية تأتي مع مشروعات التنمية يضيف لبنة أخرى إلى الصورة العامة، حيث يستقطب مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبوظبي الباحثين من أنحاء العالم المختلفة بما في ذلك الولايات المتحدة الأميركية، وهو يطبع البحوث الجديدة في شؤون المنطقة، خصوصاً الجوانب الدفاعية، بحكم أن الشيخ محمد بن زايد من المهتمين بشؤونها، هذا بالإضافة إلى "بُنية تحتية" حافلة بالمعاهد والمدارس والطرق والمدن الجديدة.

وقد اهتم الشيخ زايد، رحمه الله، بالزراعة، ويلاحظ الزائر لأبوظبي أنها أصبحت غابة من النخيل. وعلى أساس وجود هذا العدد الكبير من النخيل أنشأت الدولة مسابقات وصناعات تهتم بما يمكن استخراجه من التمور... وهو ليس بقليل.

* أكاديمي ومفكر من البحرين

الكويت لا تختلف عن غيرها!

د. ساجد العبدلي
sajed@sajed.org

من يستقرئ المشهد اليوم بشكل حكيم، لا يمكن له أن يتجاوز بحال من الأحوال احتمالية قيام العصيان المدني وصولاً إلى اشتعال الثورة... فالكويت على حافة مرحلة مفصلية في تاريخها، وبعد هذا المفصل سيتغير شكل الأمور التي عرفناها على مدى عقود طويلة.

على عكس أغلبية من يتابعون المشهد السياسي حالياً، فأنا ممن يؤمنون إلى حد بعيد بأن احتدام المشهد بهذه الطريقة المكثفة هو من العلامات الإيجابية لمصلحة الحراك المعارض في المحصلة العامة، وذلك انطلاقاً من السنن الكونية بأنه ليس بعد أي ضيق، مهما طال زمانه، إلا الفرج، وأن دوام الحال سلباً أو إيجاباً من المحال، وأن وصول الوضع السياسي عندنا إلى هذه النقطة السحيقة لن يكون بعده إلا الارتداد إلى الأعلى، مهما طال الأمد، ولكنني أؤمن أيضاً بأن ارتداد الأمور إلى الأعلى قد لا يكون سلساً وسهلاً، بل قد يكون أليماً دامياً.

لهذا فاستمرار السلطة، أو استمراؤها بلا خجل أو وجل وبلا رشد وحكمة، خنق الأمور، وتزوير الواقع- مثال ذلك تصريح رئيس الحكومة أخيراً "بأن الانتخابات البرلمانية والصوت الواحد وما أفرزته كانت عاملاً رئيساً في تهدئة الأوضاع" - والعبث به بهذه الطريقة الفجة السافرة كان لا بد له، وكان حرياً بها أن تدرك ذلك، أن يقودها إلى الوصول إلى نقطة تصادم شرس حتمية مع ردة فعل شعبية تزايد غضبها مع مرور الوقت وتتابع الأحداث، وكان لا بد لها أن تصل في وقت من الأوقات إلى مستوى تخرج معه عن الحسبان السلطوي وعن حدود قدرات السلطة على السيطرة سياسياً وأمنياً.

تزايد شدة القمع والبطش والعبث السلطوي ما كان ليطفئ رغبة الناس بالتغيير، وما كان أبداً ليثبط حماسهم للمعارضة والمواجهة، بل كان الأمر، وسيكون دوماً، على العكس من ذلك، ففي كل مرة أقدمت فيها السلطة على تصرف أرعن جديد، كان الأمر حطباً ووقوداً جديداً يزيد النار اشتعالاً ويعيد إلى ما انطفأ منها جذوة اللهب. وقد صرنا نشاهد ونتابع بشكل متواصل ارتفاع سقف الخطاب المعارض بشكل يتجاوز كل مألوف، وذلك منذ ذلك اليوم الذي أشعل فيه مسلم البراك الفتيل، فصرنا نرى كيف تقاطر النواب من بعده على إشعال الفتائل بلا تردد، وصرنا نتابع كذلك ظهور ناشطين ومغردين لا يخافون ولا يتورعون عن الانتقاد والمعارضة بعبارات بلغت من القسوة والحدة مبلغاً بعيداً، هذا بالرغم من استمرار يد السلطة في ضبط وإحضار واعتقال وسجن النواب السابقين والناشطين والمغردين بشكل أثار استغراب الجميع بما فيهم الهيئات الحقوقية العالمية.

وهذه الأمور في المجموع، وغيرها من الأمور الأخرى بطبيعة الحال، ستساهم سريعاً إن لم تكن قد ساهمت فعلاً في جمع شتات أطياف الحراك المعارض وضمهم في إطار واحد يتفق على المشترك الأهم الذي يتلخص في لزوم التصدي للسلطة، ومن يستقرئ المشهد اليوم بشكل حكيم لا يمكن له أن يتجاوز بحال من الأحوال احتمالية قيام العصيان المدني وصولاً إلى اشتعال الثورة.

الكويت على حافة مرحلة مفصلية في تاريخها.

وبعد هذا المفصل سيتغير شكل الأمور التي عرفناها على مدى عقود طويلة، وباب الاحتمالات مفتوح على مصراعيه لشكل وحجم التغيرات التي ستكون، ومن لا يزال يظن أن الكويت تختلف عن غيرها، فإن عليه أن يعيد التفكير.

زكي العايدي*

أميركا تتابع أوروبا من أعلى!

PROJECT SYNDICATE

إن التدخل العسكري الفرنسي في مالي يتقدم بسرعة، حيث يمثل سقوط تمبكتو مؤخراً معلماً بالغ الأهمية على مسار الجهود الرامية إلى دحر المتمردين الإسلاميين الذين سيطروا على شمال البلاد. وبشكل أكثر عموما، يؤكد النجاح الواضح للتدخل على ثلاث نقاط رئيسة.

فهو أولاً يؤكد أن فرنسا لا تزال قادرة على العمل كمحرك رئيسي لأوروبا، ففرنسا لديها قوة عسكرية كبيرة وقابلة للانتشار السريع، كما أظهرت في ليبيا عام 2011. وعلاوة على ذلك، ترتبط هذه القدرة العسكرية بنظرة عالمية، وليس مجرد الدفاع عن مصالح اقتصادية.

ففي مالي، لا تسعى فرنسا إلى المطالبة بموارد، أو تصدير الديمقراطية، أو توسيع رقعة إفريقيا الفرنسية التي لم تعد تؤمن بها. وعلى نحو أقل تشويقا، تسعى فرنسا إلى تحقيق الاستقرار في بلد خاضع لقوى عنيفة لا تقودها دوماً جهات تنتمي إلى مالي، ومن المرجح أن توقع الفوضى في هذه المنطقة الفرعية بالكامل وتهدد أوروبا.

وثانيا، يسلط هذا التدخل الضوء مرة أخرى على الأهمية الاستراتيجية التي يتمتع بها الاتحاد الأوروبي، الذي يروج "لاستراتيجية شاملة" في التعامل مع مالي والمنطقة بالكامل من أجل تجنب السؤال الحاسم: تحت أي ظروف قد تستخدم أوروبا القوة؟

وتتعلق النقطة الأخيرة بطبيعة التورط الأميركي في الصراع. فالولايات المتحدة تظل الحليف الاستراتيجي الأكثر قيمة لفرنسا في هذا المسعى، ولكن الشروط تغيرت. فبعد عشر سنوات من التدخلات العسكرية غير المثمرة (في أفضل وصف لها) دفعت القيود المفروضة على الميزانية إدارة الرئيس باراك أوباما إلى التضحية ببعض القوات البرية من أجل الحفاظ على القدرات الجوية والبحرية الكبيرة سالمة، والغرض من ذلك على ما يبدو احتواء الصين.

وكانت إعادة التقييم من جانب أوباما سبباً في زيادة حِدة التحول الواقعي في السياسة الخارجية الأميركية، والذي أصبحت الولايات المتحدة الآن بموجبه غير راغبة في التدخل إلا عندما تتعرض مصالحها المباشرة للخطر. وفي حالات أخرى، سوف يكون لزاماً على حلفاء أميركا أن يبرهنوا على التزامهم من أجل الحصول على دعم مشروط.

ولقد تم تطبيق هذا النهج الجديد على ليبيا، حيث كان الطابع المميز له "القيادة من الخلف". ولكن هذا المفهوم غير ملائم لأنه يعني ضمناً أن الولايات المتحدة كانت القائدة في نهاية المطاف. ومن الواضح أنها لم تكن، فلولا الدفعة الأولية من فرنسا وبريطانيا العظمى، فإن الولايات المتحدة كانت ستظل سلبية في الأرجح، وهو ما نصحت به وزارة الخارجية ووزارة الدفاع. (حتى إن وزارة الخارجية ذهبت إلى حد تحذير فرنسا وبريطانيا العظمى من التصويت لقرار الأمم المتحدة رقم 1973، الذي سمح بالتدخل).

وفي نهاية المطاف قلب أوباما موقف المسؤولين البيروقراطيين لديه، فاقترح تدخلاً عسكرياً قوياً، من دون قوات برية، لفترة محدودة للغاية. وفي النهاية، قدمت الولايات المتحدة 75% من عمليات الاستخبارات، والمراقبة والاستطلاع، و75% من التزود بالوقود في الجو، و90% من الاستخبارات الخاصة بتحديد الأهداف، وهي مساهمة كبيرة بلا أدنى شك. ورغم هذا فإن ليبيا كانت بمنزلة البداية لمفهوم جديد- ينطبق على مالي- يمكن تسميته "المتابعة من الأعلى".

أو بعبارة أخرى، تنقل الولايات المتحدة إلى حلفائها أنها لم تعد راغبة في التدخل في المناطق ذات الأولوية المنخفضة ما لم يلتزم حلفاؤها بذلك أولاً، تماماً كمثل المستثمر الذي ينتظر من المتعهد تقديم دفعة أولى. وكما حدث في ليبيا، فإن فرنسا كان لزاماً عليها أن تأخذ زمام المبادرة في مالي. وكما كانت الحال في ليبيا، فإن الدعم الأميركي كان حاسماً في المجالات الأربعة التي تنقص فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية: الاستطلاع الجوي، وتحديد الأهداف، والنقل الجوي، والتزود بالوقود في الجو.

ولكن خلافاً لما حدث في ليبيا، أخذت الولايات المتحدة في مالي خطوة غير مسبوقة في تاريخ العلاقات عبر الأطلسية من خلال النظر في جعل فرنسا تدفع في مقابل استئجار طائرات نقل القوات. ورغم تجاهل هذا الاقتراح في نهاية المطاف، فإنه يكشف عن تآكل الدعم الأميركي وتصميم الولايات المتحدة على الإشارة إلى عدم تحمسها لمساعدة الأوروبيين الذين يتعرضون للمخاطر. وهناك فضلاً عن ذلك خلافات حقيقية داخل البيروقراطية الأميركية عندما يتعلق الأمر بتقييم التهديد الذي تفرضه القاعدة في مالي على مصالح الولايات المتحدة. وبالتالي فإن مبدأ المتابعة من الأعلى يحمل أهمية رمزية وأهمية تتعلق بالعمليات. فعلى مستوى العمليات، يقتصر على الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع ولا يشتمل على قوات برية. ومن الناحية الرمزية، فهو يعني دعم الجهود الأولية الملموسة التي يبذلها آخرون.

وبالنسبة إلى أوروبا فإن هذا الموقف يبعث على القلق لسببين: الأول أنه يوضح ديناميكية التوقف ثم التحرك التي تستند إليها السياسة الأميركية، والتي قد تتأرجح- في غضون خمسة أعوام فقط- من التوسعية المزعجة إلى انسحاب مزعج بنفس القدر من العالم. صحيح أن تمكن الجهاديين من مالي لا يهدد الولايات المتحدة بشكل مباشر، أو على الأقل لا يهددها بقدر ما يهدد أوروبا، ولكن هل من المنطقي أن نتمسك بهذا التحليل البسيط بعد ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر 2001؟

وثانيا، تستمر أوروبا في تجاهل الحاجة إلى تحديد الظروف التي قد تسمح لها باستخدام القوة، ليس من أجل حفظ السلام بل لقتال قوات معادية محتملة. إن النفور من الحرب يُعَد واحداً من أشد المخاطر التي تواجه أوروبا حاليا.

وبالنسبة إلى الفرنسيين، فإن الموقف الأميركي من شأنه أن يفرض إعادة تقييم أهمية إفريقيا في الاستراتيجية العالمية لفرنسا، فمن الواضح أن الكتاب الأبيض حول الدفاع الذي أصدرته الحكومة في عام 2008 والذي يقلل من أهمية القارة، من شأنه أن يبرر في الأرجح تقليص القوات البرية الفرنسية. وعلاوة على ذلك فإنه يشجع فرنسا على التطرق إلى موضوع القوة العسكرية مع حلفائها الأوروبيين.

ومن المعروف عن المستشارة أنجيلا ميركل انتقادها لفرنسا لأنها غير متحمسة بالقدر الكافي للاتحاد السياسي الأوروبي. والسؤال المطروح الآن هو كيف نبني أوروبا بدول تدفن رؤوسها في الرمال كلما ذُكِر موضوع استخدام القوة، في حين تعترف باستخفاف بأن فرنسا تدافع عن أوروبا بالكامل في مالي.

والآن يتعين على فرنسا أن تصر على أن تعالج مسألة استخدام القوة باعتبارها شرطاً مسبقاً لأي مفاوضات بشأن التكامل السياسي في أوروبا. ومن خلال إثباتها لأوروبا أنها تتابع تحركاتها من الأعلى، فإن الولايات المتحدة سوف ترغم الأوروبيين على الإفاقة من سباتهم السياسي وتواضعهم الاستراتيجي. ويبقى السؤال ما إذا كان الأوروبيون على استعداد للقيام بهذا.

* أستاذ العلاقات الدولية في معهد الدراسات السياسية في باريس، ومؤلف كتاب "إنجازات محدودة: سياسة أوباما الخارجية".
«بروجيكت سنديكيت» بالاتفاق مع «الجريدة»

مخيمر أبو سعدة*

نجم «حماس» يرتفع

PROJECT SYNDICATE

يبدو أن "حماس"، حركة المقاومة السياسية التي حكمت غزة منذ عام 2007، خرجت من الجولة الأخيرة من القتال مع إسرائيل وقد تعزز موقفها الإقليمي إلى حد كبير، وفي الوقت نفسه، تواجه الحركة تساؤلات جديدة حول قدرتها على الاستفادة من الفرصة الدبلوماسية التي اكتسبتها.

الواقع أن رد حماس القوي على العملية العسكرية الإسرائيلية في غزة في نوفمبر، والذي شمل سقوط صواريخ بالقرب من تل أبيب والقدس، أظهر التزامها بقيمتها الأساسية المتمثلة بالصمود. وعلاوة على ذلك، ففي أعقاب الاشتباك الذي دام ثمانية أيام، دخل خالد مشعل زعيم حماس المنفي منذ زمن بعيد، والذي لم يجرؤ من قبل قط على إظهار نفسه علنا أمام إسرائيل، دخل غزة من مصر. وباستعراضه مزهواً بالانتصار عبر الشوارع، عزز خالد مشعل- في الداخل والخارج- فكرة انتصار "حماس".

وخارج غزة، كان صعود الإسلام السياسي في دول الربيع العربي، وخاصة في مصر وتونس، سبباً في خلق جوار أكثر تأييداً وتودداً لحركة "حماس"، وعلى نحو حاسم، اشتملت مفاوضات القاهرة التي أفضت إلى وقف إطلاق النار مع إسرائيل على اتصال دبلوماسي مباشر عالي المستوى بين مصر و"حماس"- وهو تحول جوهري عن موقف الرئيس المصري السابق حسني مبارك المعلن المناهض لحماس.

وكانت الزيارات التي قام بها إلى غزة أمير قطر ووزير خارجية تركيا، فضلاً عن زعماء إقليميين آخرين، سبباً في تعزيز مكانة حماس الجديدة، وإظهار الدعم لحماس يعني الآن بناء المصداقية في الداخل، الأمر الذي يخلق الفرصة للحصول على تبرعات كبيرة من الدول العربية والإسلامية لتمويل إعادة تعمير غزة.

وعلى النقيض من هذا، أصبح محمود عباس، رئيس السلطة الفلسطينية الذي تبنى مفاوضات السلام مع إسرائيل وتخلى عن الصراع المسلح، أكثر عزلة من أي وقت مضى، على الرغم من نجاحه في ترقية وضع فلسطين في الأمم المتحدة إلى "دولة مراقبة غير عضو" بعد أيام فقط من انتهاء القتال في غزة. في البداية كان رد فعل "حماس" متشككاً في طلب الحصول على وضع الدولة، ولكنها أيدته بعد وقف إطلاق النار، نظراً لتوقعاتها بأنها سوف تكون قادرة على استغلال وضع فلسطين بعد ترقيته. ورغم هذا فإن الأحداث الأخيرة، جنباً إلى جنب مع تضاؤل موارد السلطة الفلسطينية، أدت إلى تراجع مصداقية عباس بين الفلسطينيين، الذين باتوا ينظرون إليه على نحو متزايد باعتباره رجلاً يائسا. وأدى إعلان إسرائيل بعد التصويت في الأمم المتحدة عن إنشاء مستوطنات جديدة حول القدس إلى إضعاف موقف عباس بدرجة أكبر، والواقع أن وقت عباس ينفد بسرعة. والسؤال الوحيد الآن هو من الذي سيحل محله؟

وفي الوقت نفسه، تسعى "حماس" إلى الاستفادة من شعبيتها المتنامية بالفوز بالانتخابات، ففي انتخابات أكتوبر الماضي البلدية في الضفة الغربية- الأولى منذ ست سنوات- احتفظت حركة فتح العلمانية إلى حد كبير بسلطتها من الناحية الفنية؛ ولكن الإقبال على التصويت بنسبة 55% فقط في أعقاب الدعوة التي أطلقتها "حماس" إلى مقاطعة الانتخابات، عكس تراجع دعم حركة فتح. والآن يُنظر إلى حماس على نطاق واسع باعتبارها الممثل الحقيقي للطموحات الوطنية الفلسطينية، والقادرة على توحيد الفلسطينيين تحت رايتها. ولكن هل تستطيع "حماس" إيجاد أساس للمفاوضات مع إسرائيل؟ مما لا شك فيه أن "حماس" لم تتنازل عن شعار المقاومة؛ ولكنه رغم هذا عدلت من موقفها من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مع الوقت. بل إن زعماء "حماس" أعربوا عن دعمهم لإنشاء دولة فلسطين على أساس حدود 1967، على أن تكون القدس الشرقية عاصمة لها.

ويشير هذا التحول التدريجي، مقترناً بتأييد "حماس" إلى نهج عباس الدبلوماسي في الأمم المتحدة، إلى أن "حماس" تعتقد الآن أن الانتصار على إسرائيل عسكرياً أمر غير ممكن، وسوف يكون لزاماً على الزعماء الفلسطينيين والإسرائيليين أن يعملوا على تسوية خلافاتهم والتوصل إلى تسوية دبلوماسية.

لقد أصبحت علامات تحول منظور "حماس" واضحة بشكل متزايد. فعلى الرغم من حفاظ مشعل على موقف متشدد في خطبته في غزة، فإنه في مناقشات خاصة أعرب عن استعداده لقبول قيام دولة فلسطين على أساس حدود 1967. حتى إن مشعل صرح بأنه إذا أعادت إسرائيل النظر في موقفها إزاء مبادرة السلام العربية لعام -2002 التي تدعو العالم العربي إلى الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود في مقابل عودة إسرائيل إلى حدود -1967 فإن حماس ستفعل الشيء نفسه.

ولكن على الرغم من ترحيب مشعل بفكرة المفاوضات مع إسرائيل في المستقبل، فإنه أصر على أن الوقت المناسب لم يحن بعد. إن حماس مقتنعة بأن إسرائيل لا تفهم إلا لغة القوة والسلطة، ولن تتفاوض قبل أن تقبل إسرائيل بحتمية المطالب الفلسطينية.

ولعل إسرائيل بدأت تستوعب الرسالة، والواقع أن القتال الأخير دفع بعض الساسة الإسرائيليين، مثل جيورا أيلاند مستشار رئيس الوزراء السابق أرييل شارون للأمن القومي، إلى الاعتراف بأن "حماس" تمثل واقعاً سياسياً لم يعد من الممكن تجاهله. حتى إن أيلاند نصح حكومة إسرائيل بالاعتراف بحكم حماس في غزة، ورفع الحصار، والتفاوض على وقف إطلاق مطول بشكل مباشر مع الحركة. ولكن نجاح مثل هذا النهج يتوقف على استعداد إسرائيل للتعامل مع حماس، التي لا تزال تعتبرها جماعة إرهابية، وعلى إمكانية استمرار الوساطة المصرية.

وهنا، قد تخضع إسرائيل لضغوط متنامية من جانب حليفتها الرئيسية. والواقع أن تقبل أميركا للأحزاب الإسلامية في المنطقة، من حزب النهضة في تونس إلى الإخوان المسلمين في مصر، يشير إلى أن التشكك في الجماعات الإسلامية ربما بدأ يفقد أرضيته. كما يثير نفس الأمر الشكوك حول ما إذا كانت الولايات المتحدة ستحافظ على سياستها الصارمة في عزل "حماس".

لقد دلل نجاح الرئيس المصري محمد مرسي في التوسط بين إسرائيل و"حماس" على أن الإسلاميين من الممكن أن يتخذوا موقفاً مرنا- حتى عندما يتعلق الأمر بإسرائيل. وهناك مجال للاعتدال في مواقف الطرفين، ولكن ينبغي للزعماء على الجانبين أن يُمنحوا الأرضية الصحيحة التي يمكنهم انطلاقاً منها إجراء التعديلات اللازمة.

* أستاذ العلوم السياسية في جامعة الأزهر في غزة.
«بروجيكت سنديكيت» بالاتفاق مع «الجريدة»